فصول من كتاب « المرشد »

ليحيى بن جرير التكريتي

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

توطئة

في بطون المخطوطات القديمة ثروت لا ينفد . فمن طالعها بامعان ولم تفز منه العجلة قد يقع على درر فاخرة يجبها لقرّاء. اليوم فيجدوها كأنها بنت البارحة كانما خطتها يد عالم عصري ؛ اذ فيها من اللون والكمال ما يفرّ بثمنها وقيمتها . فهناك مخطوط بقريد « كتاب المصباح المرشد الى الفلاح » الفه يحيى بن جرير التكريتي السرياني اليعقوبي († ١٠٧٩) ضمّنه اربعة وخمسين فصلًا يتعرّض فيها لعقائد الايمان المسيحي ويعرضها على النمط المونوفيزيتي. وقد اوقفتنا فيه مقالة في « القربان » هي من اجود ما كُتب في هذا الصدد. (Cf. Cheikho : *Catalogue raisonné*,.. n. 568).

ترجم المستشرق جورج گراف المخطوط بكامله في المجلة اللاهوتية لجامعة انسبروك النمسوية (ZKT 1926), ونشر درساً طافحاً لثلاث سنوات خلت في مجلة الـ (Band 37-1953. pp. 89-100, Oriens Christianus) عن القربان في مؤلفات التكريتي . وقد رأينا ان ننشر هذا النص طلباً لفائدة القراء .

الباب الحادي والخمسون

يتضمّن في اسم القربان وحاله واقسامه

قال ان هو اسم سرياني دخيل في اللغة العربية ومعناه الهدية وسمّي قرباناً لانه مشتق من الدنو والقرب فكانهم سمّوا من يهدي لله هدية من خالص ماله قرباناً ايضاً وقد يسمى القربان ايضاً ذبيحة وصيدة وضحية على المذاهب الاولى في ذباحة بني اسرائيل الحيوانات للشياطين ولغير الله والضحايا ما قربت وذبحت لله في زمان بني اسرائيل . وفي السنة الحقيقة كان يسمّى ما قرّب من الحيوان ذبيحة ومن النبات قرباناً ويسمّى صيدة لاصطادها على المذبح . وسمي المذبح مذبحاً لكون الحيوانات كانت تذبح عليه وهذه الاسماء نقلت الى قرابين النصارى ولئن كانت قرابينهم من خبز وشراب استعارةً ومجازاً . واخي ابو سعد الفضل ابن جرير رضي الله تعالى عنه اورد لقربان المسيح حدّاً دالّاً على

معناه . فقال ان القربان هو جسد المسيح ودمه اعتق به الجنس الادمي من رق الخطية التي اخطاها آدم وهو دوا الحيوة الابدية وبتهذيبه النفوس واتحادها بخالقها تعالى ولهذا سماه السريانيون قرباناً لانه يقرب لله تعالى ويبعد من الشيطان. وجميع النصارى يسمون القربان سراً لان السيد لما قرّب نفسه كشف للتلاميذ سر شريعته به . ومنهم من سماه اشتراكاً كون انهم باخذه يشتركون بعضهم ببعض ويشاركون السيد لكونهم اعضاء والسيد هو الرأس لتلك الاجزا كقول الرسول وقال ايضاً الذي قرّب نفسه عوض جنسنا على الصليب ❊

ويعقوب السليح يقول في قداسه . ان هذه ذبيحة طاهرة بغير دم ❊

وسيدنا قال انا الخبز السماوي الذي نزلت من السما . ويسمى ايضاً جسد المسيح ودمه المبرق العهد الجديد. وقد تقدم ذكر ذلك واما القربان منه جسماني ومنه نفساني روحاني . فالجساني ينقسم على نوعين نباتي وحيواني . فالنباتي ينقسم على ثلاثة انواع الخبز والشراب والزيت . والحيواني ينقسم على نوعين حيوان الماشي كالغنم والبقر والجدا وحيوان الطائر كفراخ الحمام وفراخ الشفنين. والعصافير . فاما الملح فهو داخل في الاجسام المعدنية وهذه قرابين كانت تعمل على مذهب السنة العتيقة ❊

فلما نسخت في السنة الحديثة فصار القربان متخذاً من الخبز والشراب . والخبز منه فطيراً ومنه خميراً . فالخبز منه ما يضاف اليه الزيت ومنه ما لا يضاف اليه ذلك . وهذه تسمى قرابين نفسانية روحانية . والقربان ينقسم ايضاً على نوعين قربان طاهر مقبول وقربان نجس مرذول . فالطاهر المقبول منه ناسخ ومنه منسوخ . فالمنسوخ هو القرابين التي ذكرت في التوراة والناسخ هو القربان المسيحي المذكور في الانجيل . فاما القرابين النجسة المرذولة هي التي اهلت لغير الله وهي قرابين الاصنام الذي كانوا يقدمونها الكفرة . وفي قرابين الطاهرة المقبولة يدخل البخور والمصابيح . والادعية . والصلوات . والتوبة والدموع . والسجود . وعمارة الهياكل اي بيوت الله . والصدقة على المساكين والضعفا . وبالجملة فان العبادة بالقرابين تنقسم الى ثلث انواع الاعمال والاملاك والذوات . فاما قرابين الاعمال ذكرها داودُ النبي حيث قال . قرّب لله الشكر واوفي للعلي نذورك اي خلص نيتك فاصلح طويتك مع الله واعبده حقّ عبادته ولتكن

طريقتك واعمالك جيدة مرضية امام الربّ ولا تعتقد ان ذباحتك الحيوانات واهراق دماها يمحو عنك الذنوب او يكسبك اعمال صالحة. واما قرابين الاملاك فهي الذكاة والصدقة والبخورات الطيّبة والقرابين المسيحية من الخبز والشراب والهاب المصابيح وهذه جميعها اذا كانت مع اعمال صالحة تقبل ماذا والّا فلا تقبل. فاما قربان الذاتي فهو الذي عمله المسيح حيث قرّب نفسه عن خطايا الجنس الادمي. وابتاعنا من الهلاك وانقذنا من يد الشيطان ومحي عنا الضمان الاولي وتلم السياج الذي كان مانعاً لنا من عودنا الى مستقر عزنا الاولي. فاما نحن فنقرّب نفوسنا له بامتناعنا من اللذات ونميت شهواتنا لتنير عقولنا بقبول سنته الذي له المجد من الآن والي كل اوان والي دهر الداهرين آمين.

* الباب الثاني والخمسون *

يتضمّن في ذكر اوّل من قرّب القربان

قال باجماع النصاري واليهود ان آدم الاب الاول كان نبيّاً وكاهناً وملكاً وهو اول من قرّب القربان وان كان ذلك ليس بمذكور في التوراة. وهو الذي علّم ولديه ان يقرّبا القرابين. اما نبوته فدليلها اخباره بالطوفان ومجيء المسيح واما كهنوته فلقوله جبلتني ووضعت عليّ يدك واما ملكه فانه دبر العالم في مدة حيوته وهابيل قرّب لله قرباناً من سمان غنمه وقابين قرّب لله قرباناً من كناسة بيادره. فقبل الله قربان هابيل كون انه كان عن نيّة صادقة ولذلك قيل في التوراة ان الله سرّ بقربان هابيل اي انه قبله ولم يقبل قربان قابين كون انه كان من غير نيّة صادقة ولا طويّة صالحة لانه لما رأى اخاه قد قرّب قرباناً تشبّه به وشبّه ان يكون آدم ورآياه فقربا او امرهما بان يقرّبا فقرّبا. وعلامة قبول القربان في ذلك الزمان نزول النار واكلها اياه. فلمّا لم يقبل قربان قابين فحسد اخاه وقتله. ونوح لما خلص من الغرق قرّب قرباناً لله من جميع الحيوانات الطاهرة التي كانت معه من الماشي والطاير وبنى مذبحاً وذبح واصعد عليه الصعايد *

وقال في التوراة ان الله استنشق روايح القتارات المرتفعة من تلك الذبائح واستلذ بها اى قبلها لانها كانت عن نية صادقة جميلة وهو عالي عن هذه الصفات تعالي عن ذلك علوّاً كبيراً وانما هذا كان قياساً تعبيراً لفهمنا. واولاد نوح

تعلموا ذلك على مـا يقولوا المفسرين لا زالوا يقربون القرابين الي ان انتهي الامر لبروز ملتيصاداق وهو ملك البرّ وهذا كان كمرًا ورياساً وملكاً . هذا الذي التقاه ابراهيم بالمشور وقبلها منه وبارك عليه وسلّم اليه الكهنوت وبنـا البيت المقدس وبنا فيـه مذبحاً وقرّب لله الخبز والخمر لا من ذبايح الحيوانات وذلك كان رمزًا علي ما نفعله نحن. فان هذا ملتيصاداق كان مثالاً للسيد المسيح كقول بولس الرسول بان ملتيصاداق لم يعرف له اب ونسبته لم تذكر في نسبة الاباء والامم. وهو الـذي قال فيه داود النبي لما تنبّى على المسيح بانك انت الاكمر الاعظم علي مثال ملتيصاداق الي الابـد . فاما ابراهيم قرّب الحيوانات وامره الله ان يقرّب ولده المرموق ليمتحنه ويسبر نيته . فلما رآه مطيعاً كفّ يده عن ذباحة اسحق وخلق له كبشاً جعله قرباناً عنه وهو مثال تقريب سيّدنا نفسه وظهر موسى وقرّب القرابين من الحيوان الماشي والطاير ورشّ الدم وقتر الشحوم وجميع هذه الاخبار مدوّنة في كتاب الله المقدس وذلـك كان بحسب كدارة عقول بني اسرائيل وانما احرقت قرابينهم بالنـار النازلة من السماء واذ اعدمت السمايية تحرق بالارضية ليعلمهم ان يعلموا ان هذه الذبايح ستنقض وتبيد وتحترق وتذهب . وبني اسرائيـل كانوا في حال تاديب موسى لهم يعدلون عن اوامره التي هي اوامر الله ويذبحون الذبايح للاصنام والشـياطين حتى ان بعض ملوكهم وغير الملوك كانوا يقربون اولادهم للاصنام وهم الذين قال فيهم داود النبي انهم ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين واهرقوا دماهم الطاهر الزكي فان قيل ان نفتاح قرّب ابنته والله قبل قربانه كان الجواب ان الله قال انني رأيته قد فعل ذلك عن نية صادقة وطوية صالحة واخبر ان القربان لي لا الأصنام فقبلته وقيل انه لم يُمدح ولم يُذم. لم يُمدح كون انه قرّب ابنته ولم يُذم كونه وفا نذره . ولو انه خرج في الباب اولاً بعض الحيوانات النجسة لقد كان قربه غير انه لم يقرّب ابنتـه لغير الله ولم تزل القرابين في بني اسرائيل لله وللاصنام حتى هلكوا وبادوا وقد قلنا ان احراق قرابينهم رمزًا علي بطلانها وان جميع ما جرى لهم انما كان رمزًا علي ما اظهره المسيح لانه هو الاشارة الخفية الي الامر المرموز وانما تستعمل الرموز عند عدم فهم المعاني الغامضة لكدر العقول واذا صنعت تنبهت بفهم تلك الرموز . من ذلك ان الشاة الذي قرّبه موسى النبي مع بني اسرائيل بحمر قبل

خروجهم منها فكان رمزاً علي المسيح وكان الشاة سليماً من العيوب ولم يكسر فيه عظماً كذلك المسيح هو نقي من كل عيب ودنس ولما قرّب نفسه وصُلب لم يُكسر فيه عظماً . واسحق والكبش ايضاً رمزاً على المسيح كما تقدمنا فقلنا وكما ان الاحراق يبطل طبيعة المحرق كذلك الكامل يبطل طبيعة الناقص. فبنوا اسرائيل احرقوا الذبايح وابطلوها كذلك سنة سيدنا سنته كملت سنتهم وابطلتها وكانوا اذا ما اذنبوا يقربوا الحيوانات التي لا ذنب لها ويصيّروها فدية وكفارة عنهم. وهكذا اجري الامر في المسيح ❊ مثلما ان بني اسرائيل كانوا يذبحون من لا ذنب له ويسلّمونه الموت ليسلم المذنب منهم من الموت هكذا المسيح بحيث انه ما كان مستحقاً للموت قبل علي ذاته الموت ليكون فداء عن من حتم عليه الموت وهو آدم وبنيه فهو تعالى باختياره جعل ذاته فدية اعظم من تلك قدراً واسما جلالة. وكما كانوا يختاروا الاسرائيليين حمل لا عيب فيه للقربان كذلك المسيح كان لا عيب فيه ولما كانت تلك تذبح بغير ذنب كذلك المسيح قرّب ذاته بغير ذنب تطرق عليه وكما ان مضيحها كان يتقرّب بها الي الله كذلك الذي يقرب جسد المسيح ودمه يتقرب به الي الله تعالي وقد رمزوا الانبيا علي بطلان تلك القرابين من ذلك قول اشعيا النبي اسمعوا قول الله يا جميع سكان عامورة هكذا يقول الرب قد سامت نفسي كثرة ذبايحكم ومالت صعايد الذكور وشحوم المعاليف ودم البقر والخلان والجدا. لست براض بها فاذا قصدتموني لتشاهدون وجهي لا تعودوا تقربوا لي قرباناً فارغاً فارغ القتارات فاني قد رفضت ذلك وقد بغضت نفسي اوائل شهوركم واعيادكم صارت عندي غير مقبولة واذا ما بسطتم ايديكم الي احيد نظري عنكم وان اكثرتم الدعا. لا اقبله ولا استمعه لان ايديكم مملوة دماً وقال من ذبح لي تورّا كمن ذبح لي رجلاً ومن ذبح لي حملاً كمن قتل كلباً ومن قرّب سميداً كمن قرّب خنزيراً ومن قرب لي لباناً كمن عظّم الاصنام ❊

وقال داود النبي لست اكل لحم العجاجيل ولا اشرب دم التيوس بل اذبحوا لله ذبايح المجد وقال ايضاً ذبيحة الله هي الروح المتواضعة فالله جل شانه نسخ تلك الذبايح عنهم لا نسخاً ساذجاً لكن نسخاً بسخط وعقوبة ومع بلايا عظيمة تنزل عليهم ولله المجد الي ابد الابدين امين .

﴿ الباب الثالث والخمسون ﴾

يتضمن في ذكر قرابين البيعة

قال ان النصارى قد اختلفوا في اتخاذ القربان من الدقيق والخمر والزيت والماء والملح مع اتفاقهم على اتخاذه من الحنطة والخمر وهذه صفة اختلافهم. اما الافرنج والارمن فانهم يقربون الفطير ويحتجون بان السيد المسيح قرّب فطيرًا واما سائر فرق النصاري يقرّبون خميرًا اعني خبزًا مختمرًا ويحتجون بانه اكمل والملكية لا يلقون فيه ملحًا واليعاقبة مع النسطورية يلقون فيه زيتًا وملحًا ويجعلونه مختمرًا وهذه حجج كل فريق منهم . اما من قال ان المسيح قرّب الفطير وذلك ليؤنس اليهود فيما يفطرونه وهذه حجة واهية لان السيد اخذ خبزًا وبارك وهشم واعطا تلاميذه واسم الخبز ولئن كان يطلق ايضاً على الفطير الّا انه اذا قصد به الفطير لا يسمّى خبزًا مطلقاً بل يقال عنه خبزًا فطيرًا او من المحال ان يكون قصده التكميل فيكمل كل ناقص ويترك الخبز الفطير بحاله لا ينسخه بما هو اكمل منه وهو الخبز المختمر فاما الاحتجاج بانه لم يوجد في بيت المقدس في ذلك الوقت الخمير فهذه حجة واهية لان المملكة كانت للروم ومذهبهم مذهب الصابة واكلهم الخبز المختمر لا الفطير فالتلاميذ اعدّوا له خبز الفطير اولًا ثم المختمر . ثانياً والاصل في اختلاف فرق النصارى في الفروع ان الداعي لكل امة منهم والمتلمذ لها سلم اليها من الفروع بحسب ما اوجبه الحال الحاضر. فالمغاربة يلقون الزيت على الميت كما تسلّموا من ديونوسيوس والمشارقة اعني النساطرة لا يفعلون ذلك لان برصوما ومن قبله بابويه لم يسلّمهم ذلك بزعمهم والارمن سلم اليهم غريغوريوس الكبير بان يتمسّكوا عن اكل اللحم والادهان جميعها في الصوم وان يفطروا ويأكلوا فيه بالنهار خبزًا فقط بزعمهم والاقباط يزعمون انه اذن لهم اكل اللبن والبيض في الصوم . والروم يزعمون ان حسان امرهم باكل السمك في الصوم واليعاقبة مع النساطرة يكرهون ذلك والارمن يزعمون انه سلم اليهم صاحبهم ان يتوبوا الفطير واظنّ انهم صدّقوا لانهم كانوا اكثرهم يهودًا فترك عليهم اكثر سنن التوراة وظاهر من قول المسيح براص ومن قول رفقته المسيحيين ان من تشبّه باليهود وفي شيء من الاشيا فهو

مبعد. ومن قال بالمختمر ان المسيح قال هذا هو جسدي كلوه وجسد المسيح هو على غاية الكمال وعلى كل حال ان المختمر هو اكمل من الفطير .

وقال انا هو الخبز النازل من السما ولم يقل انا هو الخبز الفطير .

واما القا الزيت في الخبز الذي يتخذ منه القربان كون ان الزيت هو مفضل وممدوح في السنة العتيقة والحديثة من ذلك ان هـذا مثال خبز الزيت الاثني عشر رغيفاً التي كانت تجعل اربعة صفوف ثلثة ثلاثة مربعة علي مثال الصليب . هذه كانت تعجن بزيت عصير .

و ' في التوراة ان القربان تجعله بالزيت القـايق والخمر المروق والبخور باللبان النفي - كانت الكهنة والانبيا تمسح به والنصارى تعتد بـه والبشاره بالسلامة من غرق ' فان صورت بورق الزيتون وهو في القربان مثال النفس والجسد ❊

وسيدنا المسيح به اظهر المد في الرجل النازل من اورشليم اريحا حيث انه طرح علي جراحاته الخمر والزيت .

وفي التوراة يقول ان الخبز يُلت بـ ـ ـن لا يطرح الزيت فيزعم ان هذا الانجيل لم ينطق به . واما طرح الملح في القربان فهو مثبت من الانجيل كقوله تعالي ان كل ذبيحة بالملح تصلح ولان به تزال تفاهة الاغذية ولهذا قال للتلاميذ انتم ملح الارض ❊

واليشع النبي حين اشتكوا عليه الناس ملوحة مأهم امرهم ان يلقوا فيـه الملح فحين طرحوا فيه الملح عذب ومن لم يُطرَح فيه الملح يزعم علي ان القربان مبني علي التثليث فعلوه من ماء ودقيق وخمير ومن عمله من دقيق وماء وزيت وملح جعل ذلك علي مثال الاستقصات الاربع الذي منها تركب البدن وهو المجد امين .

الباب الرابع والخمسون

يتضمن في اتخاذ القربان

قال ان القربان يجب ان تحمل مواده من احل الاملاك واسلمها من انواع الحرام وتكون من اطيب وجوه مكاسب الانسان واحلها والدقيق يكون صحيحاً

متخذاً من حنطة سليمة من العيوب عارية من مخالطة غيرها من الحبوب والزيت يجب ان يكون صافياً نقياً عارياً من العكر والملح يجب ان يكون في غاية عذوبة الامر ولا وسخ والما يجب ان يكون نقياً من كل عيب وان يكون الخمر صافياً لذيذ الطعم والرائحة بري من العكر والاوساخ لا يمسه شيئاً من الحوضة والخمير يكون نظيفاً طاهراً والناطرة تزعم ان عندهم خمير محتفظ به من عهد الحواريين وفيهم من يعتقد ان عندهم من فتات الخبز الذي قسمه السيد في الليلة وقال هذا جسدي وحسبهم بهذه الدعوي واعتقادهم صحتها ولو ان هذا صحيحاً لكان الروم اولي بحفظ الخمير فاما من فتات الجسد السيدي فلست احتاج الي ان اقيم الحجج علي بطلان هذه الدعوة لشهرة محالها . فاذا ابتدا الكاهن والشماس في عجنه فيجب ان يزمرون بزامير داوود النبي وتكون ملابسهم نظيفة وقيل اذا عجنوه وهم صايمين اولي. فاذا اختمر بالتمام يخبز في تنور مفرد لخبزه غير متبدل والوقيد يكون من حطب ذو ثمرة عذبة وفيما بعد ذلك يختار من البرشان اجوده واسلمه من الاحتراق والاعوجاج ويتسلمه الكاهن ويرفعه علي المذبح ويقدسه فان بعض الظماء يقول ان البرشانة قبل صعودها علي المذبح هي بمنزلة السيدة مريم واما اذا صُعدَت علي المذبح صارت مسيحاً . فاما شرايط الكاهن فقد تقدم ذكرها في باب الكهنوت .

وديونيسيوس يقول ان الدكة الذي في صدر المذبح هي بمنزلة شجرة الحياة التي كانت في الفردوس لان المذبح عنده على مثال الفردوس . والهيكل علي مثال هذا العالم وقد ذكرت ذلك وغيره فنقول ان الدكة بمنزلة الموضع الذي صُلب فيه المخلص وقيل ان اول من ابتنا مذبحاً عالياً عن الارض كان نوح واول من دهن المذبح بالزيت يعقوب بن اسحق وسمّى المذبح في ذلك الموضع بيت ايل اي بيت الله واول من بنا المذابح علي هذا الشكل المتداول بيننا الان يعقوب السليح اخو المسيح ومن النصارى من لا يجيز تقديس القربان خارج عن المذبح ومنهم من اجاز ذلك ويصيد الصميدة علي الانجيل وهذا يفعل في الاسفار الضرورية لاجل العساكر التي في الحروب ولا يجوز ان يقرّب قرباناً بغير الانجيل والصليب وصورة المسيح وقد كان في العرب نصاري كبني تلعب وقوم من اليمن وغيرهم ومعهم اسقفاً يطوف معهم في الطلل في سفرهم وينقل

المذبح اعني الدقة المقدسة من موضع الى موضع الي سنة ثلثماية للعرب وصل الي تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها وكان منهم رجلًا ديّناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية وكان يقدس لهم باللفظ العربي وكان يقدس لهم علي الانجيل وكثير من الرمام الي الآن يسافرون ومعهم مذابح مقدسة يقدّسون عليها وفيهم من الترك وهم التواكب يسافرون في خركاهات والمذبح معهم . ويجوز ان يحمل القربان الي الذين هم في الحبوس والمرضي والزمنا فاما ما يتلوه الكاهن وهو القداس فانه عند الروم واليعاقبة والنوبة والحبشة علي نسخة واحدة ليس فيه شيء من التغيير اصلًا غير ان كل منهم يذكر علي المذبح ائمته . فاما قداس النساطرة فلا يوافق لغيرهم من اهل الفرق وفصول القداس عند الروم واليعاقبة خمسة ❖

الاول منها صلوات وادعية وابتهال الي الله تعالى ان يودنا ويؤهلنا ان نقرّب له قرباناً مقبولًا وينير عقولنا ويهذّب نفوسنا لنستحق ان نتناوله علي الشروط التي ذكرها الرسل . وثانيها وثالثها ان يتضمنان ادعية واستغفارًا وتضرع الي الله تعالى بان يقبل قرباننا ويغفر ذلّاتنا ويذكر الاموات والاحيا الحاضرين والغايبين ويغفر لهم ❖ رابعها يتضمّن الشكر لله تعالي والثناء عليه حيث اهّلنا اليه اي لهذا السر الشريف والامر العالي الجسيم وجعلنا مستحقين له ❖ خامساً ذكر اتحادنا بجسد المسيح والشكر لله الذي اهلنا لهذه الموهبة وبالجملة فان قداس اليعاقبة وباقي الفرق ما عدا النساطرة يتضمن ذكر حال المسيح والامه وكشف السر الصليحين وذكر صلبه وقيامته وصعوده الي السما. وفي خلال ذلك ذكر الشكر والثناء والتضرع في ان يقبل قرباننا ويوهلنا لان ناخذه باستحقاق ويقولون ان هذا هو الذي تسلموه من الآبا حتى انتهت الرواية ليعقوب الذي قدّس اولا لا زيادة عليه سوى ذكر الائمة الذين دبّروا البيعة من ذلك العهد الي وقت من الاوقات التي تقرب فيها القرابين. فاما النساطرة فان قداسهم يتضمّن سيرة المسيح من البشارة الى حين صعوده الى السما. وعمل على ذلك الترتيب جماعة من الابا. قداسات مثل توما الصليح ومثل ديونوسيوس واقليموس واغناطيوس وقوريلوس واثناسيوس واسطاتيوس وباسيليوس ويوحنا فم الذهب وغريغوريوس وقد ذكرت فيما تقدم ان النساطرة يعتقدون ان المذبح ينحل قدسه

من اشيا عدّوها ليس عند اليعاقبة والروم صحّتها لان هولا. يقولون ان ما قدسه الله لا ينحلّ ولا يتنجّس والنساطرة يقولون ان الكاهن اذا غلط ينحلّ المذبح واذا دخل المذبح من ليس هو علي مذهبهم ينحلّ المذبح ايضاً واذا دخله المفطر واذا حمل الانسان معه شيا من آلات القدس ودخل اليه وغير ذلك مما عددوه والعجب من ان الانجيل والصليب بهما يتمّ تقديس المذبح فهذه قد يقراها ويدنو منها الصايم والمفطر والقريب والنسيب فلا ينحلّ قدسها فكيف ينحلّ قدس المذبح وهو بها يتقدس فاما ما يجب ان يفعله المتقرب اما قبل ان يحضر الرازين يصلح نيته ويطهّر نفسه وينظّف جسمه ويتوب وينوي قبل حضوره نية حسنة جيّدة ويسمع القداس من اوله الي اخره وهو واقف لا يشغل سره بغير ذلك ويبتهل الي الله تعالي بالادعية والخشوع والاصلح ان يكون قبل ذلك قد حمل من احلّ املاكه الدقيق الصيد والخمر الصافي والزيت الفايق والبخور ومن المستقر عند جميع النصاري انه لا يجوز اخذ القربان إلّا ان يكون الانسان صايماً. اما اولاً فلان الخطية الاولي انما كانت من جهة الاكل والشره فيجب ان تكون كفارتها بالصوم وترك الاكل. وثانياً فان هذا السر انما هو مكسب الحيوة الابدية وهذه الحيوة هي حيوة الدار الاخرة وفي تلك الدار لا يكون اكلاً وشرباً ويجب ان قبل تقدّمنا الي هذا السر العجيب الشريف ان نكون صايمين. واما شرب الماء بالليل فانه ان كان قبل نصف الليل جاز القربان وان كان بعد نصف الليل لم يجز تناوله لان في نصف الليل تكون قيامة الناس باجمع كما كانت قيامة المسيح في ذلك الوقت فاذا كانت الاطبا يأمرون ان تناول الادوية الجسمانية بعد الحمية وان لم يفعل المتعالج ذلك استقر فكم بالحري نحن ان نكون قبل تناول دوا الحيوة الابدية هذّبنا انفسنا وابداننا وهيّناها لتناول هذا الدوا الشافي علي تقاء من النفس والجسم معاً وليس ينبغي للمتقرب ان ينظر الكاهن كانه انساناً سادجاً بل يجب عليه ان ينظره كانه شكل المسيح او خليفته النايب عنه ❖

قال ماري ديونوسيوس ان الكاهن في مقامه هو مثال المسيح كون انه يقول كقول السيد المسيح ان هذا هو جسدي وهذا هو دمي ❖ واخرون قالوا ان الكاهن هو الوسيط ما بين المسيح والشعب كما ان المسيح هو الوسيط ما

بين الاب والامة * واخرون قالوا ان الكاهن في تقديمه القربان هو مثال المسيح واما جملة المعلمين المتوشحين اللاهوت قالوا ان القربان يتقدس باخذه لا بعطيه يريدوا بذلك ان نيته الذي ياخذه هي التي تحقق امره . مثال ذلك انا اخذت شمع مطبوع فهل غرضك ان تعرف طابع هذا الشمع ياقوت هو ام زجاج هو ام خزف هو لعمري ليس هذا غرضك بل نفس الغرض هو صورة طبع الشمس لا نفس الطابع للشمع فيا هذا انت خذ القربان من الكاهن بنية صادقة ولا تبحث عما لا يعنيك البحث عنه. اما سمعت قول امام الامم الالهي حيث قال في هذا الصدد ان ما ياكل من خبز الرب ويشرب من كاسه وليس هو باهل له فهو انما ياخذ دينونة لنفسه . يريد بذلك ان من ياخذه وهو قليل الامانة به وليس هو طاهر كما يجب فيدان لقوله ايضاً هو مذنب وغير مستحق لجسد سيدنا ودمه. فلذلك يجب علي من يتناوله ان يصلح نفسه اولاً ويكون صحيح الايمان ثانياً ومن ثم فليأكل من هذا الخبز ويشرب من هذا الكاس واذ كان الغرض في اخذه الفوز فاذا اخذه بغير امانة صادقة فياخذه كخبز سادج والكاس العاري من القدس فلا يكفيه هذا فقط بل ويصيبه اثماً وعقاباً بحيث تهاونه لهذا السر الشريف البديع ولهذا كره بعض الفرق كالارمن ان ياخذه الانسان دائماً وهم في ذلك ضد راي النساطرة لان الارمن كل منهم لا ياخذه الّا في الاوقات المتباعدة اكراماً له واستظهاراً من ان يتم عليه غلط او اثم يوجب عليه من هذا الجري سخطاً وعقوبة واظن ان من يتطاول بهذا الراي فلا يفعل فعل جيد ولا تقر بصحته اليعاقبة ولا الروم بل يقولون اذا كان الانسان فاحص ذمته ومنقي ضمير ومعترف بخطاياه وتايب توبة خالية من الشوايب الردية واصح نيته علي وفا قانونه والا يرجع بعد ذلك للخطية ومؤمن ايمان صادق ويقين ثابت فهذا متى ما شاء فليتناول القربان المقدس فيفعل فعلاً حسناً ولا يعتقد انه اذا اذنب ذنباً وقرّب قرباناً انه يمحو ذنبه بقربانه فهذا هو الغلط العظيم وقد يقال اما العلة في ان السيد اعطا جسده مفرداً ثم اتبعه بدمه. فالجواب ان السايل ذهل عن حقيقة السر في هذا من قبيل انه سبق الي وهمه ان الجسم يكون حياً طاهراً والدم آلته فاذا انفصل اللحم عن الدم لم يكن كل واحد منها حياً ولم يعلم ان السيد انما قصد بذلك لان يتحد اهل بشارته به اتحاداً

جوهريا لا يمكن اتصال شخص بشخص ليتم منها شخصاً واحداً وكل منها لازماً لطبيعته صار الاصلح في الاتصال ان تتصل بسايط احدهما بالاخر وذلك ان الجُمَل لا يمكن اتصالها بالجمل وهي على ما هي عليه من التركيب فلذلك صار اتصال البسايط بالجملة اوفق من اتصال الجملة بالجملة فلهذا اعطي سيدنا الجسد مفرداً ثم الدم مفرداً على ان الجملة اذا اتصلت بالجملة صار الاتصال مخصوصاً بالجملة. فاما البسايط فانها اذا اتصلت ساغ ان يتعدّى اتصال الشخص الواحد الي غيره من الاشخاص ومن المعلوم انه لم يكن القصد الاتصال بشخص واحد بل باشخاص الناس كلهم وهذا لا يتم الا بتوسط البسايط علي ان الارمن يخلطون الجسد بالكاس ويدفعونه للمتناول وقد كان الحواريين كلما اجتمعوا اخذ المتقدم منهم الخبز الذي يحضر عندهم بارك عليه وصلّا وذكر قول المخلّص وقسّم وكذلك كانوا يفطون بالكاس : ولمّا اتسعت الامانة المسيحية وانتشرت البشارة الجديدة في المعمورة استقر القربان علي هذا الوجه الذي هو شايع الآن في الامة المسيحية. وينبغي ان تعلم ان المحققين يعتقدون ان الكاهن بالصلوة والابتهال الذي يتلوه علي القربان يكسبه قوة روحانية بها يصير ذلك الخبز وذلك الخمر المزوج قرباناً مقبولاً وهو جسد سيدنا ودمه . وتلك القوة المكتسبة تصير بمنزلة النفس لذلك القربان اعني صورة مقدمة لذاته من حيث هو جسد المسيح ودمه بالحقيقة ولما تمّم عليهم قال لهم هذا هو جسدي وهذا هو دمي ولم يقل هذا مثال جسدي وهذا مثال دمي وحقيقة الحال انه صار جسده بالاتحاد وبالاتحاد دمه ❊ وبا هذا تامل قول السيد وقول التلاميذ وقول المفسرين حق التامل ليصح لك ❊ ان جسده لا مثال له ولا شبيه له لكنه هو هو ❊ ولما كان الخالق تعالي خلق آدم جوداً منه لا اضطراراً ثم انعم عليه وجعله مسلطاً ومختاراً لا مقهوراً ولمّا ملك اختياره خالف الامر الالهي فاوجب عليه العدل الالهي ابعاده من مقرّ عزّه ❊ ثم بالتفضل الذي هو اعلي رتبة من العدل احبّ ان يردّه الي مستقرّ عزّه اذ ليس من شانه ان يكفّ عن من انعم عليه ولا يمنع من خير يصل اليه فلما كانت المخالفة الموجبة للابعاد منوطة بالاكل الجسماني صار الخلاص من عقوبتها بالاكل الروحاني ولان المخالفة كانت

من انسان جسماني ارضي صار التحنن والانعام بالتفضل والغفران لتلك الخطية بانسان روحاني اي سماني *

كقول الرسول ان الانسان الاول ترابي من الارض والانسان الثاني رب من السماء فالجسد الذي اعطاه السيد للتلاميذ وان كان جسمانياً فانه صار بالبركة والمنحة روحانياً فصارا شيئاً واحداً متحداً وهو القايل ان جسدي ماكلاً حقاً ودمي مشروباً حق ولم يقل شبه جسدي ولا شبه دمي .

وقال من اكل جسدي وشرب دمي فهو يحيا ولم يقل من اكل شبه جسدي وشرب شبه دمي فالقربان بالاتحاد هو جسد المسيح ولهذا قال انا هو الخبز النازل من السما ومن اكله يحيى حيوة دايمة

وقال يوحنا هذا هو حمل الله .

وايضاً بولس الرسول يقول من اكل جسد المسيح وشرب دمه وهو لا يستحقه فهو مدان ولم يقل شبيهاً بذلك .

وقال كلنا معشر الجماعة البيعة اعضاء لجسد المسيح والمسيح هو الرأس. فنحن اذا وهو جسد واحد بالاتحاد الذي هو اتحاد بالنعمة التي وهبت لنا من المعمودية ومن الاشتراك في جسده ودمه وهذه معاني روحانية واسرار الهية لا يجب ان تؤخذ اخذاً جسمانياً فمن اراد فهمها اما ان يتقلدها بالامانة واما ان يعلي نفسه من الجسمانيات ويرفعها الي درجة الروحانيات ويبعد عن سنة موسي ويدنوا من الامر المسيحي اليس الرسول بولس لما نهي عن الزني قال اتجعلون اعضا المسيح اعضا الزانية يعني ان الاعضاء التي اتحدت بالجسد الشريف بوساطة اخذه تصير ممازجة لاعضا الزانية فمن فهم حقيقة الاتحاد علم ان الروحانيات تتحد وتصير شيئاً واحداً من غير تفاسد ولا استحالة ومن لا يفهم ذلك وقع في بحر الشكوك وهذا هو احد الاسباب المانعة للناطرة من القول باتحاد الجوهرين والقنومين لانه لما اخذه اخذاً جسمانياً قرع من التفاسد ولو اخذه اخذاً روحانياً لكان سلم من الشك والارتياب. وانا اقول انه فهم هذا وعرفه حق المعرفة كما عرفه من قبله تيودوروس ولكن طلب الرياسة منع من الاذعان به فتولد من ذلك ما مالت العقول الكدرة اليه وهذه فهي مع الجسمانيات. فاما تبيت القربان ان فرق النصارى جميعهم يروا ان بيت القربان ما عدا فرقة نسطور وانما فعلوا

ذلك اما للمخالفة واما خوفا من فساد يطري عليه حتى انه متى فضل للكاهن منه فضلة اما ان يحرسها بنفسه لا يفارقها الي ان يحضر من يتناولها واما ان يستوعب اكلها وشربها معاً واذا كان ينظرهـا وهي ثابتة علي المذبح سقط الاحتجاج ان الخوف من بيتها فسادها. ومن رأي بعيت القربان احتجّ بان جسد السيد بات في القبر او لان الناس قد يحتاجون الي ان يتناول منه في حال المرض وغيره وفي الاسفار والعوارض التي تطري علي الناس وان يسافر به الي الجيوش والي المواضع التي يعدم فيها التقديس وقد احتج من لا يري ان يبيّت القربان من حيث ان خروف الفصح في السنة العتيقة مامور بان لا يبيّت منه شيء. وان المنّ والسلوي والنار النازلين من السما. لم يبيتا ما بات منها في غير ليلة السبت نتن . فاما القربان في الصوم فانه اعظم الاسباب في تبييته كان لاجل الصوم لان الاجماع كان ان لا يقرب القربان الّا في يوم الاحد بزعمهم ان الصوم هو كآبة وحزناً ولا يجوز التقديس فيه . وقالوا ان يوم الاحد هو يوم فرح بقيامة السيد المسيح ففيه ينبغي ان يكون التقديس فكان اكثر الناس لا يحضرون في ايام الاسبوع في البيعة لانهم قد علموا انهم لا يتقربون فـاجمع الاباء ان يبيت القربان ياخذوه المؤمنون في ايام الاسبوع جميعها فامـا اخذ البركة وهي البرشان الماخوذ من المذبح بعد التقرب وهو البرشان مبارك غير مقدس فقيل انه شبيه بالاكل الذى اكله سيدنا مع التلاميذ بعـد قيامته . وقوم قالوا انه شبيه بجسد سيدتنا الكلية الطوبي مريم العذراء لان منه يكون القربان الذي هو جسد السيد المسيح . وقوم قالوا انه غدا الاجسام الروحانية كما ان القربان هو غدا العقول المتيرة الالهية فاما من اخذ القربان بحلقة فهذا علي المثال الذي راه اشعيا النبي من تناوله القربان بالكلبتين النارية واما من اخذه بيده فهذا علي مثال ما اخذوه السليحيين من يد المسيح بايديهم واما من اخذه بفمه فلاجل اكرامه وجلالة قدره .

ولان اشعيا النبي رأى ان الجمر الذي هو رمز علي هذا القربان كان يوضع في افواه اولئك الذين كانوا ياخذوه فاما القربان في يوم السبت ممنع منه في قانون اقليميس القايل مبعد من صام في سنة واحدة سبتين وهذا اذا قدس الروم او اليعاقبة يوم السبت لا يفعلون ذلك في اخر النهار لكنهم يفعلونه نهاراً. فاما

ما يفعل بعد القربان فانه يوخذ من البركة التي هي البرشان اولًا المقسوم من المذبح الذي قد بورك ولم يقدس الذي قلنا انه بمنزلة جسد السيدة مريم العذرا. ثم يشرب بعده جرعة من الماء لان بالماء ينحل اثاره من الفم ثم يتناول الغدا وقد منع جماعة من الاباء الصوم بعد تناول القربان ومنعوا من السكر بعده ومنعوا من القي بعده ومنعوا من الجماع بعده ومنعوا من دخول الحمام ومنعوا من قص الاضافير بعده . ومنعوا من الغوص في المياه بعده وجماعة من العلماء لم يتقربوا في يوم جمعة الالام واجمعوا ان لا يقرب في يوم واحد على مذبح واحد مرتين بل يجوز ان يقرب الكاهن الواحد في يوم واحد مرة واحدة بعد ان لا يفعل. فهذا ما امكنني ايراده وانا اسأل الله تعالى ان ينفع به قاريه فان وافق اصابة فهي من غيري وان صادف خطاء وزللًا فهو من عجزي وتقصيري عن فهم هذا الامر العظيم شانه الشريف محله امين .